زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر

التعليق

على

شرح لمعة الاعتقاد

للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى (ت ١٤٢١)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.

أما بعد:

فهذا تحقيق و تعليق مختصر على شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وكتاب لمعة الاعتقاد من الطتب النافعة في باب الاعتقاد، ومؤلفه إمام زمانه في السنة، وفقيه دهره، ابن قدامة رحمه الله تعالى، ثم شرح الشيخ العثيمين ميسر جميل، وقد انتشر انتشار النار في الهشيم، فوضعت عليه من التعليق ما يزيده جمالًا وفائدة.[1] والله الموفق

١٤٢٢هـ دماج -اليمن ٧٧٧٨٢٤٦٤٣

وكتب أبو عبد الله المصنعي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

****

(١) تنبيه:

رمزت لما نقلته من شرح العلامة الفوزان بـ : الفوزان.

و لما نقلته من شرح الجبرين بـ: الجبرين.

و لما نقلته من شرح العلامة ابنعثيمين على الواسطية بـ: العثيمين.

و لما نقلته من التنبيهات السنية بـ: التنبيهات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده رسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس، المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة(١)، ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه ليكون ركيزة(٢) يعتمد عليها في المرحلة .ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً، ومنهجاً، وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم – مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب فأسألك – أي القصد والعمل – على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه، وتبين موارده، وتبرز فوائده.

---

(١) أي خلاصتها (اللسان / ٦/ ٩) .

(٢) هي القطعة من جواهر الأرض التي يرتكز عليها (اللسان / ٥/ ٣٢٠).

والمعنى ما يكون مرتكزًا عليه ليعتمد عليه فيثبت به، ومنه : مراكز: معاقل الثبات .

(اللسان. [مادة: ركز]).

واللهَ أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين، وأن يمدني بروح من عنده، وتوفيق، وأن يجعل عملي مباركاً ونافعاً(١) إنه جواد كريم.محمد بن صالح العثيمين حرر بتاريخ١٠/ ١/ ١٣٩٢هـ

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

****

(١) وقد فعل سبحانه واستجاب دعائه وانتشر هذا الكتاب في مشارق الأرض ومغاربها .

قواعد هامة في الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: "في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته":

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صلى الله عليه وسلم يتكلم باللسان العربي؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثم وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١].

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٢]. فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به؛ لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية: في أسماء الله. وتحت هذه القاعدة فروع:

الفرع الأول: أسماء الله كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته[٣]؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) غاية الشيء نهايته وقيل: كان الأولى أن يعبر الشيخ بالكمال المطلق: بالغة في الحسن الكمال المطلق والمؤدى واحد، والله أعلم .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

مثال ذلك: (الرَّحْمَنِ) فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: "الدهر"؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"(١) فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"(٢).

الفرع الثاني: أسماء الله غير محصورة بعدد معين، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: "أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"،(٣) وما استأثر به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وهذا اللفظ لمسلم (٢٢٤٦) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن لغيره، رواه أحمد (١/ ٣٩١) والحاكم (١/ ٥٠٩/ ٥١٠) وأبو يعلي (٥٢٩٧) وغيرهم من طريق أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه به مطولا قال الذهبي: أبو سلمة لا يدري من هو ولا رواية له في الكتب الستة وقال الحسيني مجهول وقد تابع أبا سلمة عبد الرحمن بن إسحاق عند البزار كما في (كشف الأستار / ٣١٢٢) وعبد الرحمن بن إسحاق الواسطي أبو شيبة قال أبو حاتم : منكر الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال أحمد: منكر الحديث ليس بشيء. وقال ابن معين: ليس بشيء. وضعفه آخر ون.

وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال ابن معين: لم يسمع من أبيه وكذا قال المنذري والذهلي وأثبت سماعه الثوري وابن المديني وقال يحيى القطان : مات وله ست سنين، وله شاهد من حديث أبي موسى في عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٣٩/ تحقيق البرني) من طريق عبد الله بن زيد =

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة"(١): أن معنى هذا الحديث: (إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة). وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد(٢)، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

الفرع الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

= عن أبي موسى – وفي نسخة أخر ى لمحقق آخر – عبد الله بن زبيد – وهو الذي ذكره الشيخ الألباني (الصحيحة ١٩٩) وعبد الله مجهول حال فأرجو أن يكون حسنًا بمجموع طرقه، وقد صححه جماعة من المتقدمين، وهذا الحديث عظيم، والحمد لله على ثبوته، والله الموفق.

(١) (خ ٦٤١٠) (م ٢٦٧٧).

(٢) وعليه عامة أهل السنة وغيرهم، وخالف ابن حزم وغيره فادعوا حصرها في ذلك العدد، وهو قول شاذ.

ومثال ذلك في المتعدي: "الرحمن"، فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالًّا على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

القاعدة الثالثة: "في صفات الله" وتحتها فروع أيضاً:

الفرع الأول: صفات الله كلها عُليا، صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعلو، وغير ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلله المَثَلُ الْأَعْلَى﴾(١). ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله.

وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٢)، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً* وَأَكِيدُ كَيْداً﴾(٣)،

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١٥، ١٦.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾(١). إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك، والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسَلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسَّلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل؛ لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتاً، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٢). فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية؟ ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها؟ ولماذا؟

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين؟ ولماذا؟

فجواب السؤال الأول: نعم حقيقية، لأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها لقوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾(١). ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

وجواب الثالث: لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢)، ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول قائل: يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

القاعدة الرابعة: "فيما نرد به على المعطلة".

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم "المؤولة"، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.



قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:

"لمعة الاعتقاد"

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(١). أحاط بكل شيء علما وقهر كل مخلوق عزة وحكما ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم.

...الشرح...

"اللمعة"(٢) تطلق في اللغة على معانٍ منها: البلغة من العيش، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب، فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم. والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

---

(١) في بعض النسخ سقط الشاهد من الآية التي ذكرها ابن قدامة في متنه: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

(٢) وتطلق على الجماعة والطائفة من الناس أو القطعة من النبت أخذت في اليبس وقيل غير ذلك، وما ذكره الشيخ ذكره صاحب تاج العروس (٢٢/ ١٦٩) مادة [لمع]. وكأن مراد الماتن طائفة – أي جملة – من اعتقاد أهل السنة والجماعة. والله أعلم.

[ما تضمنته خطبة الكتاب]

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١ – البداءة بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله العظيم، واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومعنى (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): أي أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة. ومعنى (الله) المألوه أي المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً، و (الرَّحْمَنِ) ذو الرحمة الواسعة، و (الرَّحِيمِ) الموصل رحمته من شاء من خلقه، فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له، والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه.

٢– الثناء على الله بالحمد[١] ، والحمد: ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم.

٣– أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان، أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

٤ – سعة علم الله بكونه، لا يخلو من علمه مكان، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر[٢].

---

(١) الحمد لغةً: الثناء. اللسان مادة (حمد).

اصطلاحاً: التعبد بالثناء على الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

فبالاعتبار اللغوي يجوز في حق الله عز وجل وفي حق غيره، وبالاعتبار الشرعي لا يجوز لغير الله عز وجل لأنه مقترن بشرط العبادة فمن صرفه لغير الله تعالى فقد أشرك.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. لكمال علمه وقدرته.

٥- عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه[١].

٦- تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد[٢]، وذلك لكمال غناه.

٧- تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد، فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال.

٨- عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٩- اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

١٠- استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.

١١- عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

١٢- سعة علمه، وقوة قهره، وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

****

(١) كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، والمعنى لن تعلم ذلك.

(٢) قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

[التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات]

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم(١) والقبول(٢) وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما من ذلك وجب إثباته لفظا(٣) وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله

---

(١) هو الاستسلام والانقياد لما دل عليه، والقبول: الرضا به وهو ضد الرد. (الجبرين ص ١٣).

(٢) والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُون﴾، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب﴾. وغيرها من الأدلة.

(٣) كلام ابن قدامة في إثبات اللفظ وترك التعرض للمعنى ورد علمه إلى قائله ثم نسب هذا للسلف. قد يشكل ومما يزيده إشكالاً قوله في (ذم التأويل ص ٢٢٢) ضمن مجموعة رسائل: "وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها" وقد جمع بعض أهل العلم بين كلامه، وقالوا مراده نفي العلم الكيفية. وهذا جيد لأن حسن الظن بالعلماء مطلوب.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قول ابن قدامة هذا: أما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى وصفاته لفظًا ومعنى واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال... والمصنف رحمه الله تعالى إمام في السنة وهو من أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أ . هـ كلامه.

ونجعل عهدته على ناقله إتباعا لطريق الراسخين في العلم[١] الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾.

...الشرح...

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين:

واضح جلي، ومشكل خفي.

(١) الاستدلال بهذه الآية في هذا الموضع فيه نظر .

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه، فيجب الإيمان به لفظاً، وإثبات معناه حقًّا بلا رد ولا تأويل[١]، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته، أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه، فنرد علمه إلى الله ورسوله[٢].

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: كل من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيماً لله ورسوله

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين في الواسطية ص ٦٨- ٦٩: عبر المؤلف – يعني ابن تيمية – رحمه الله تعالى بالتحريف دون التأويل مع أن كثيراً ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل يقولون: من غير تأويل لكن ما عبر به المؤلف أولى لوجوه أربعة:

١ – أنه اللفظ الذي جاء به القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، والتعبير الذي عبر القرآن أولى لأنه أدل على المعنى.

٢ – المؤول بغير دليل؛ ليس من العدل أن نسميه مؤولاً بل العدل أن نصفه بما يستحق وهو أن يكون محرفاً.

٣- أن لفظ التحريف أبلغ تنفيراً من التأويل...

٤ – أن التأويل منه مذموم ومنه غير مذموم كالتفسير... أ. هـ بتصرف.

(٢) وليس في آيات الصفات وأحاديثها مجمل يحتاج إلى بيان من خارج بل بيانها منها.

مختصر الصواعق ٢١٢ شرح الفوزان ٣٨ – ٣٩

وتأدباً مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾(١).

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾(٢).

[تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال]

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه. أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين، وبيان للناس، وفرقان، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

[معنى الرد، والتأويل(١)، والتشبيه، والتمثيل(٢)، وحكم كل منها]

الرد: التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازاً. وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه لأن هذا منتهى وسعه، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣).

الثاني: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

القسم الثالث: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

---

(١) لغة: التفسير وغير ذلك (اللسان مادة [أوّل] والمراد به هنا التحريف وهو التفسير الباطل، وهو صرف اللفظ عن ظاهرة. الفتاوى (٣/ ١٦٥) مختصر الصواعق ٣١٩ ، الروضة ٢٥ ، العثيمين ص ٦٩ .

(٢) لغة: التسوية. النهاية في الغريب ٤/ ٢٩٤.

وهو قسمان (١) تمثيل الخالق بالمخلوق كما قالت اليهود: (يد الله مغلولة) فلعنهم الله تعالى. وقد تابعهم الممثلة من هذه الأمة.

(٢) تمثيل المخلوق بالخالق كم قالت النصارى: (إن الله هو المسيح ابن مريم) قاتلهم الله سبحانه. وكلا القولين كفر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بـالله وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١).

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه(٢).

****

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) والتعبير بلفظ التمثيل أولى لأنه الذي جاء به القرآن، ولأن نفي التشبيه على الإطلاق غير دقيق، فهناك تشابه بين الخالق والمخلوق في بعض أسماء الصفات، وإن كان التباين حاصل في المعنى.

العثيمين ص٨٩-٩٠ الفتاوى ٦/ ١١٣.

[كلام أئمة السلف في الصفات]

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل[١] رضي الله عنه[٢] في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا)[٣] و(إن الله يرى في القيامة)[٤] وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى[٥] ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء

---

(١) انظر ترجمته في السير (١١/ ١٧٧).

(٢) من باب الدعاء له والمعني اللهم ارض عنه، أما من باب الإخبار فلا تصح إلا للصحابة رضي الله عنهم لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة [١٠٠].

(٣) (خ ١١٤٥) (م صلاة المسافرين / ١٦٨ / ١٧٠) وأحمد (٢ / ٣٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) يشير إلى أحاديث الرؤية وستأتي في بابها من الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٥) هذه الكلمات مما انتقد في هذا الكتاب حيث أن ابن قدامة لم يبين مراد الإمام أحمد رحمه الله تعالى. ثم هذه الرواية عن أحمد رواها الخلال من طريق حنبل بن إسحاق، وحنبل له غرائب ينفرد بها عن أحمد وهذه منها فلا تصح عن أحمد.

ثم فيها نكارة ظاهرة فالإمام أحمد يقول: الواقفة شر من الجهمية. ونفي الكيفية والمعنى مذهب الواقفة ومنهم المفوضة فعلم بهذا نكارة هذه الألفاظ وعدم ثبوتها، والله أعلم .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الحمويه ص٦٣: المعنى الذي نفاه أحمد هو المعنى الباطل الذي ابتكره المعطلة وغيرهم... أ.هـ . ثم رأيت كلام أحمد ابن قدامة ذكره في كتابه ذم التأويل (رقم ٣٣) فقال : وقال أبو بكر الخلال حدثنا علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم – وذكره – أ . هـ وفي السند من لم يوثق وفي رواية حنبل عن أحمد كلام كما قاله الذهبي في السير في ترجمته وابن تيمية في الفتاوى (٥/ ٣٢٩).

به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية[(١)] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كُنْه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن[(٢)].

...الشرح...

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد رحمه الله الذي نقله عن المؤلف ما يأتي:

١- وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

(١) هما بمعنى نهاية الشيء ومداه (الجبرين / ص١٨) ثم هذه الألفاظ المجملة التي لا تُنفى ولا تُثبت إلا بدليل إلا أن تتضمن معناً باطلاً فتنفى والله أعلم إلا أن يكون معنى الكلام : أننا لا نكيف صفات الله سبحانه فتذكر حدودها وغاياتها وكيفيتها لأننا لا نعلم هذا مع إيماننا أن لها كيفية يعلمها الله تعالى. وانظر شرح الفوزان ص ٥١.

(٢) أي لا نعلم كيفيتها إلا أننا نقبلها تصديقاً للرسول صلى الله عليه و آله وسلم وإيماناً بالقرآن الكريم الذي أثبتها الله فيه. الجبرين ص١٩ .

٢- أنه لا كيف ولا معنى[١] أي: لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقاً، وكل شيء ثابت فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: ولا معنى أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف[٢] فإن هذا ثابت، ويدل على هذا قوله: "ولا نرد شيئاً منها، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت[٣]، ولا نعلم كيفية كنه ذلك". فإن نفيه لرد شيء منها، ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الحموية ص٦٣: المعنى الذي نفاه أحمد هو المعنى الباطل الذي ابتكره المعطلة وغيرهم ... أ. هـ.

(٢) السلف لغة: الجماعة المتقدمة (اللسان مادة سلف).

شرعًا: المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. التوبة [١٠٠] فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأتباعهم وهم الطائفة المنصورة الناجية المذكورة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق) هم أهل السنة والجماعة ومن سار على منهجهم. ١٠٣.

(٣) الشناعة القبح، المعنى: لا نترك ولا نحرف معنى صفة من صفاته سبحانه لأجل شناعة تقع في قلوبنا، أو لأجل تشنيع الناس علينا. ونظر للمزيد الجبرين ص١٩.

٣- وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه، وهو ما اتضح معناه، ومتشابه وهو ما أشكل معناه، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً، وتفويض معناه إلى الله تعالى.



[كلام الشافعي رحمه الله تعالى]

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(١) رضي الله عنه : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله(٢).

...الشرح...

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١- الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

٢- الإيمان بما جاء به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل، وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا(٣)، وأهل التمثيل زادوا.

****

---

(١) انظر ترجمته في السير (١٠/ ٥).

(٢) أي: على ما أراد الله تعالى، ولم يرد الله عز وجل إلا ظاهر ما خاطبهم به من الكتاب والسنة؛ فإنه لم يخاطبهم إلا بما يفهمون. وليس في هذا مدخل للمفوضة فإن الله تعالى أراد من العباد طاعته والإيمان بما أنزل جملة وتفصيلاً، ومما يزيد هذا قوة وأن مراد الشافعي إثبات الصفات ونفي الكيف والتمثيل والتفويض والتعطيل قوله: (ويثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى عن نفسه).
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. أ . هـ مختصر العلو للألباني (١٧٧).

(٣) وهم المعطلة الذين حرفوا معنى الصفات فنفوها – وأثبتوا لله النقص حيث نفوا ما مدح الله تعالى به نفسه.

[طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات]

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم؛ متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

... الشرح ...

الذي درج عليه السلف(١) وأئمة الخلف(٢) رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار(٣) والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

****

(١) أي ساروا وقطعوا حياتهم. الجبرين ص٢٠.

(٢) هم من بعد القرون المفضلة.

(٣) أقر بالشيء بمعنى اعترف به والمراد هنا: إثبات الصفات التي جاءت بها الأدلة.

(إمرار..) إمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل بل تبقى على ظاهرها.

[الترغيب في السنة والتحذير من البدعة]

وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة).

... الشرح ...

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة". رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي [(١)] "وقال: حسن صحيح وصححه الألباني وجماعة.

السنة لغة: "الطريقة".

واصطلاحاً: "ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من عقيدة أو عمل". [(٢)]

---

(١) (حديث العرباض) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢/ ٤٣) وأحمد (٤/ ١٢٦) وهو حديث حسن وصححه الشيخ الألباني في السنن والإرواء (٢٤٥٥) والشيخ مقبل في جامعه (٥ / ٢٤).

(٢) السنة : لغة الطريق . القاموس ١٥٥٨ .

شرعاً: ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأمة من قول وفعل واعتقاد، وهي طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي سار عليها وسار عليها أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان.

وهي التمسك بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة. عقيدة ومنهجاً وفقهاً وجميع أمور الدين.

واتباع السنة واجب لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين(٢) المهديين من بعدي عضوا بالنواجذ".

والبدعة لغة: الشيء المستحدث.

واصطلاحاً: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل.

وهي حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) أي: فهمهم للأدلة ، و فهم السلف للأدلة حجة على من بعدهم ومن خالفهم فقد ضل عن سواء السبيل، والأدلة على ذلك كثيرة منها ما ذكر المؤلف والشارح ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ونحوها من الأدلة، وفي هذا رد على أهل البدع المتقدمة والمتأخرة التي أحدثت طرقاً ومناهج لا سلف فيها من الحزبيات والضلالات.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

[الآثار الواردة في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(١) (اتبعو ولا تبتدعوا فقد كفيتم(٢)).

وقال عمر بن عبد العزيز(٣) رضي الله عنه كلاما معناه قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ (٤)كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى(٥)وبالفضل لو كان فيها أحرى قلتم: حدث بعدهم. فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي فما فوقهم محسر (٦) وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فجفوا(٧)

(١) انظر ترجمته في السير (١/ ٤٦١) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٧٧٠) وأبو خيثمة في كتاب العلم [٥٤] وابن وضاح في ما جاء البدع [١١] وغيرهم من عدة طرق فيها ضعف، وهو بمجموع طرقه حسن وصححه الألباني رحمه الله تعالى في تحقيق كتاب العلم لأبي خيثمة والضعيفة عند (٥٣٣)، وهذا الأثر قاعدة رصينة في هذا الباب وغيره وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾.

(٣) انظر ترجمته في السير (٥ / ١١٤).

(٤) المراد بصيرة القلب والعلم.

(٥) ولكن كونهم وقفوا عن هذا الشيء لأنهم يرون أنه لا خير في التجاوز. شرح الفوزان ص٦٥ .

(٦) الحسر هو التعب والإعياء والعجز، والمعنى متعب نفسه فيما لا فائدة فيه حتى يعجز عن معرفة الحق وينتهي إلى الحيرة. أو مغالٍ متجاوز للحد وهذا مذموم (وكلا المعنيان صحيح).

(٧) (جفوا) الجفاء هو التباعد والقطع والمعنى: تباعدوا عن الحق.

وتجاوزهم آخرون فغلوا(١) وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم(٢) .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي (٣)رضي الله عنه عليك بآثار(٤) من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول(٥).

... الشرح ...

١- من أقوال الصحابة: قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة: (اتبعوا) أي التزموا آثار النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص (ولا تبتدعوا) لا تحدثوا بدعة في الدين (فقد كفيتم) أي كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأنزل قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٦). فلا يحتاج الدين إلى تكميل.

(١) (غلوا) الغلو : تجاوز الحد المشروع وهو محرم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٢) مطولاً، ورواه الآجري في الشريعة (١/ ٤٤٣) وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز (٨٣ -٨٤) وسنده صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن (٤٦١٢ / طبعة مشهور).

(٣) (الأوزاعي) انظر ترجمته في السير (٧/ ١٠٧).

(٤) (آثار) مأ أُثِر عنهم من قول أو فعل.

(٥) صحيح أخرجه الآجري في الشريعة (١٢٧ / تحقيق الدميجي) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١١٤) والخطيب في شرف أصحاب الحديث رقم (٦) والذهبي في السير (٧/ ١٢٠) وسنده صحيح وفيه زيادة بعد قوله (بالقول) (فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم).

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.

٢- من أقوال التابعين: قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣هـ المتوفى سنة ١٠١هـ قولاً يتضمن ما يأتي:

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم – يعني بهم – النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

ب- أن ما أحدث بعده فليس فيه إلا مخالفة هديهم والزهد في سنتهم وإلا فقد وصفوا ما يشفي وتلكموا فيه بما يكفي.

جـ- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافياً، ومن الناس من تجاوز فكان غالياً، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير(١).

٣- من أقوال تابعي التابعين: قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ (عليك بآثار من سلف) الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة (وإن رفضك الناس) أبعدوك واجتنبوك (وإياك وأراء الرجال) أحذر أراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، (وإن زخرفوه) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه.



(١) انظر الفتاوى (٤ / ١٤٠) وسطيه أهل السنة / ١٥٥ – ١٥٧.

ـ وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوق... فالممثل أعشى، والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً. الفتاوى ٥/ ١٩٦.

[مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة]

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي(١) لرجل (٢) تكلم ببدعة(٣) ودعا الناس إليها هل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها قال لم يعلموها قال فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت قال الرجل فإني أقول قد علموها قال أفوسعهم ان لا يتكلموا به ولا يدعو الناس إليه أم لم يسعهم قال بلى وسعهم قال فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت فانقطع الرجل فقال الخليفة(٤) وكان حاضرا لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم (٥).

(وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه(٦)).

---

(١) تصحف اسمه كما قال الشيرازي: (الشيخ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي) (تاريخ الخطيب ١٠/ ٧٧) (مناقب أحمد لابن الجوزي (٤٣٦) وانظر ترجمته في التهذيب (٦ / عبد الله).

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد دجال الجهمية في عصرة (السير ١١/ ١٦٩).

(٣) وهي القول بخلق القرآن.

(٤) وهو الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم (حفيد هارون الرشيد) رحمه الله تعالى.

(٥) والقصة مشهورة ومليحة إلا أن أسانيدها فيها كلام وذكر طرقها الذهبي في السير (١١/ ٣١٣) والخطيب وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥) وغيرهم وضعفها محقق الشريعة رقم (١٩٣) والله أعلم.

(٦) ما بين القوسين تعليق من المؤلف ابن قدامه وليس من القصة. شرح الفوزان صـ٧٠.

...الشرح...

لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم. وقد بنى الأدرمي رحمه الله مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.

المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأدرمي هل علم هذه البدعة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه؟

قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه، ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها، فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فقال له الأذرمي: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأذرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب.



[ذكر بعض آيات الصفات]

[صفة الوجه لله تعالى]

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل: (ويبقى وجه ربك).

...الشرح...

الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وستتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

الصفة الأولى: "الوجه":

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب، والسنة[١]، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها" متفق عليه [٢].

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله[٣].

---

(١) ورد ذكر الوجه في أربعة عشر موضوعاً من القرآن.

وورد في السنة في أحاديث كثيرة . وهو من الصفات الخبرية.

(٢) حديث سعد (خ ١٢٩٥) (م ١٦٢٨).

(٣) والوجه معلوم معناه و كيفيته مجهولة لا نعلم كيفية وجه الله عز وجل، لكننا نؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور العظيم، كما جاءت بذلك الأدلة، ولهذا نقول الوجه وجه عظيم لا يمكن أبداً أن يماثل أوجه المخلوقات ...

-وعبر بالوجه هنا من باب التعبير بالجزء على الكل كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: نفس كاملة فالمراد بالآية يبقى ذاتة المتصفة بالوجه. والله أعلم.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب.[١] ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) أولّه المعتزلة بأن المراد ذاته ونفوا الوجه وهذا باطل مردود عليهم .

ويرد عليهم بالردود العامة.

أ) ويقال لهم إثبات الذات يلزم منه إثبات الوجه فلا يعقل ذاته بلا وجه.

ب) قال الخطابي: لما أضاف الله الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه دال على أن ذكر الوجه ليس بصلة وأنه صفة للذات. مختصر الصواعق / ٣٣٥-٣٤٠.

*- الأشاعرة أولّوه بالثواب .

ويرد عليهم:

أ) يقال لهم الثواب لا يوصف بالنور العظمة والكبر والجلال والإكرام.

ب) قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم (حجابه النور)، والثواب لا حجاب له وقال: (لو كشفه لا حرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) فهل يقال هذه صفات الثواب.

والحديث رواه مسلم (م١٧٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

ج) وفي حديث جابر في مسلم (فيأيتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) (م ١٩١) فهل يقول هذا الثواب أم الله عز وجل؟ وهل ينظر إلى وجه الله عز وجل يضحك أم يقال إن الثواب يضحك؟ بل لا بد من إثبات صفة الوجه.

و) الثواب مخلوق والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجه الكريم ...) والحديث رواه أبو داود وصححه الشيخان . ولا يستعاذ إلا بالله عز وجل لا يستعاذ بمخلوق.

وكذلك في حديث جابر لما نزلت على الرسول صلى الله عليه وعلى آله: وسلم: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ قال: أعوذ بوجهك، (خ ٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه .

وفي حديث أبي موسى في الصحيحين: (وما من بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه) (خ٤٨٧٨) (م١٨٠).

فهل هذه صفات الثواب أم صفات الوجه؟

ص) أن الله عز وجل قد فر ق بين الثواب والوجه فإذا نال أهل الجنة الثواب كشف الله تعالى الحجاب عن وجهه كما في حديث أبي موسى السابق.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إلى وجه الله عز وجل.

[الصفة الثانية : اليدان]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾.

....الشرح ...

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(١).

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله(٢)، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به(٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في الواسطية (٢٥٣) وأجمع السلف على أنه لا تثبت لله تعالى إلا يدين بدون زيادة.

(٣) أهل السنة يثبتون لله عز وجل يدين حقيقيتن كما يليق بجلالة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع متصرفاً ومقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والطي والقبض والبسط والخلق باليدين ... فقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة فإن السباق والتركيب لا يحتملة البتة أ.هـ مختصر الصواعق ٣٣٤، والتنبيهات ٩٢.

ويثبت أهل السنة لهذه اليدين صفة الأصابع كما ورد ذلك في حديث ابن عمرو (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم (٢٦٥٤).

ولله عز وجل خمسة أصابع وردة في الأثر.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها[(١)].

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾[(٢)]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "وبيده الأخرى القبض".

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْك﴾[(٣)].

---

(١) أ- ويرد عليهم بالردود العامة.

ب- أن هذه الصفات البسط في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾. والقبض في حديث: (يقبض ويبسط)، والهز في حديث: (يمسك السموات ... ثم يهزهن ...) وغيرها من الصفات تدل دلالة واضحة ان المراد به اليد الحقيقية لا غيرها.

٣- قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. لا يصح تأويلها بالنعمة لأمرين.

أ) نعم الله تعالى كثيرة ولا تحصر في اثنتين.

ب) النعمة مخلوقة وكيف يخلق آدم بمخلوق آخر فهذا لا يصح.

* كذلك لا يصح تأويلها بالقدرة والقوة لأمرين:

أ) كل الخلق مخلوقون بقدرة الله وقوله فما ميزت آدم لو سلمنا بقولهم؟!.

لا شك أن ميزته زائدة على غيره وهي خلقه بيدي الله تعالى.

ب) القوة والقدرة لا تتعدد ولا توصف بما سبق ذكره من صفات اليد فتأمل.

وهناك ردود أخر ى.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ١.

الثاني: التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(١)].

الثالث: الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾[(٢)].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.



(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٧١.

[الصفة الثالثة: "النفس"]

وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

... الشرح....

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(١). وقال عن عيسى أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته". رواه مسلم(٣).

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به(٤)، فيجب إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

****

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٣) (٢٧٢٦) من حديث جويريه رضي الله عنها.

(٤) نقل شيخ الإسلام ابن تيمة أن الجمهور من السلف على أنه المقصود بها الذات، وقيل: صفة للذات وكلاهما صحيح.

الصفة الرابعة: "المجيء".

وقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾.

... الشرح ...

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب، والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[(١)]. و﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾[(٢)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين". متفق عليه.[(٣)] في حديث طويل.

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى[(٤)].

وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره[(٥)]. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٣) متفق علية (خ٧٤٣٩) (م١٨٣) من حديث أبي سعيد وعن أبي هريره رضي الله عنهما (خ ٧٤٣٧) (م١٨٢).

(٤) قال ابن رجب ومن جملة صفات الله عز وجل التي نؤمن بها وتمر كما جاءت عندهم قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾. ونحو ذلك مما دل على إتيانه ومجيئه يوم القيامة وذلك من أفعال الله تعالى الاختيارية التي يفعلها بمشيئته واختياره ...أ.هـ.

(٥) يرد عليهم.

١- سياق الآية في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

فعطف على مجيء الملائكة وهو حقيقي بلا خلاف، ومجيء الله عز وجل حقيقي على ظاهره أيضًا.

الصفة الخامسة: "الرضا".

وقوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾.

... الشرح ...

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(١). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها".

رواه مسلم(٢).

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

٢- دعوى حذف مضمر في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾. قالوا: جاء أمر ربك. فأضمر الأمر.

وهذه دعوى لا يدل عليها اللفظ ولا السياق لعدم ورود قرينة، ولتمام المعنى دون ذكرها.

والأصل عدم الحذف، فلا معدل عنه إلا ببرهان.

٣- في الحديث المتقدم: (أتاهم ربهم فيقول: أنا ربكم) فلا يقال إن هذا هو الأمر، كيف يقول: أنا ربكم. والملائكة لا تقول هذا.

٣- ثم إن الأمر صفة فكيف تأتي الصفة دون الموصوف.

٤- من حديث جابر (يأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) رواه مسلم، وقد تقدم فهل هذه إلا صفة الرب عز وجل.

(١) سورة البينة، الآية: ٨.

(٢) (م٢٧٣٤) عن أنس رضي الله عنه.

وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى، وقد فسره أهل التعطيل بالثواب[١]. نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

(١) ويرد عليهم:

١-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك) والاستعاذة لا تكون بمخلوق والثواب مخلوق.

٢-يقال لهم أنتم تثبتون الإرادة فيلزم إثبات الرضى لأن الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

[الصفة السادسة : "المحبة"]

وقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾.

...الشرح ...

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله".(٢) متفق عليه.

وأجمع السلف(٣) على ثبوت المحبة لله يُحب، ويُحَب، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى، وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب(٤)، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) (خ ٤٢١٠) (م٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنها.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبت محبه الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له. الفتاوى ٢/ ٣٥٤

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: جميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة وإجماعاً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده. المدارج ٣/ ١٩.

(٤) ويرد عليهم: ١-بما تقدم في صفة الرضى . ٢-بقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾. فهو عطف وصف حقيقي على وصف حقيقي وصفات الله تعالى كما يليق به وصفة المخلوق كما يليق به.

[الصفة السابعة : "الغضب"]

وقوله تعالى في الكفار: ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾.

...الشرح...

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي". متفق عليه(٢).

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو غضب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام(٣)، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾(٤). فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) (خ٧٥٥٤)(٢٧٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يرد عليهم بالردود العامة وبما سبق.

١-وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك) ولا يستعاذ بمخلوق.

٢-قال ابن القيم رحمه الله تعالى لفظ اللعنة والغضب والمقت مستلزمة للعقوبة، فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها ... مختصر الصواعق / ٢١٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

[الصفة الثامنة : "السخط"]

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾.

...الشرح...

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾(١).

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك". الحديث رواه مسلم(٢).

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو سخط حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام(٣). ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



(١) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٢) (م٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) يرد عليهم بما سبق في (الرضى / والغضب).

[الصفة التاسعة : "الكراهة"]

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم﴾.

...الشرح...

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم﴾[١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المـال". رواه البخاري[٢].وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي كراهة حقيقية من الله تليق به، وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد[٣]. و نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) (خ ٥٩٧٥) (م/ الأقضية/ ١٢) عن المغيرة رضي الله عنه.

(٣) ونرد عليهم بما سبق في (الغضب).

[ذكر بعض أحاديث الصفات [(١)]]

[الصفة العاشرة: "النزول"]

ومن السنة(٢) قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا".

... الشرح...

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له..." الحديث متفق عليه.(٣)

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بنزول أمره، أو رحمته،

---

(١) ثنى المؤلف بذكر الأحاديث لأن الشرع مأخوذ من الكتاب والسنة لا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الحديث إذا صح سنده ومتنه وجب قبوله والإيمان به كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: والسنة تفسر القرآن وتبينة وتدل عليه وتعبر عنه. الواسطية.

(٢) السنة إذا قابلت القرآن فالمراد بها الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣) (خ ١١٤٥) (م صلاة المسافرين / ١٦٨ / ١٧٠) (م٧٥٨) وأحمد (٢ / ٣٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فائدة: روى أحاديث النزول أكثر من عشرين صحابياً.

أو ملك من ملائكته[١]، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له... إلخ.

****

(١) ويرد عليهم:

-قال الدرامي رحمه الله تعالى: فيقال لهذا المعارض هذا من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان لمذهبه ولا برهان لأن أمر الله ورحمته ينزلان كل وقت وأوآن، فما بال نزوله حُد بالليل دون النهار وشطر الليل أو بالأسحار دون بقيته. الرد على بشر ١/ ٢١٤.

-وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فإن قالوا: يلزم منه الحركة والإنتقال. قلنا: نحن لم نقل ذلك وإنما قاله رسو الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنما هذا يلزمه وتصديقه واجب علينا فإن كان تصديقه على ذلك واجب بطل الإلزام ودل على أنكم مشاقون لله تعالى ورسوله.

مختصر الصواعق ٢/ ٤٥٦.

[الصفة الحادية عشرة: "العجب"]

وقوله: "يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة".

... الشرح...

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾(١). على قراءة ضم التاء(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة" رواه أحمد وهو في "المسند" (٤/ ١٥١) عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة(٣).

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٢.

(٢) (على قراءة ضم التاء) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، قال ابن جرير رحمه الله تعالى: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيهما قرأ القارئ فمصيب أ.هـ تفسيره ٢١/ ٢٢. وانظر المبسوط في القراءات/ ٣٧٥/ وغيرها.
-وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم ...أ.هـ.

(٣) الحديث رواه أحمد (٤/ ١٥١) وغيره من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً وفي سنده ابن لهيعة وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع .وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٤٩) عن عقبة موقوفاً وفي سنده رشدين بن سعد ضعيف جداً .
وقال أبو حاتم كما في العلل (٢/ ١١٦) بعد ذكر المرفوع من طريق ابن لهيعة : إنما هو موقوف أ.هـ قلت والموقوف ضعيف كما ترى وقد روى الأعمش عن إبراهيم نحوه من كلامه، ويغني عنه حديث أبي هريرة في البخاري (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤) (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة)
– وحديث (عجب الله من راعي غنم يؤذن للصلاة ...) رواه أبو داوود (٤/ ٧٠) وابن أبي عاصم

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل ،،، وهو عجب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالمجازاة[1] ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.



في السنة (٥٧٢) وغيره عن عقبة بن عامر وصححه الشيخان (الجامع الصحيح ٦/ ٤١٠) صحيح أبي داود. وحديث أبي هريرة (خ ٣٠١٠) «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ»

(١) يرد عليهم.

١- الذي أثبت لنفسه العلم هو الذي أثبت لنفسه العجب.

٢- الإثبات يكون مما خرج عن نظائره فلا محذور في إثباته.

[الصفة الثانية عشرة: "الضحك"]

وقوله: "يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة".

...الشرح...

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة". وتمام الحديث: "يقاتل في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد".

متفق عليه(١). وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى، وفسره أهل التعطيل بالثواب(٢).ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

---

(١) (خ ٢٨٢٦) (م ١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ويرد عليهم:

١-أن هذا تفسير باللازم وهو منزع كلامي لا سلفي. ٢-الاطراد من علامات الحقيقة.

٣-الذي أنزل على رسوله أنه يضحك سبحانه هو القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا يلزم من الإثبات التمثيل.

٤-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث جابر (ثم يأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم، فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه وقد تقدم. وهو صريح واضح لا مجال لتحريفه.

٥-فهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث مسعود أنه ضحك وقال ضحك رسول الله وقال: أضحك من ضحك الله عز وجل) متفق عليه (خ ٦٥٧١) (م ١٨٦).

وهناك ردود أخرى.

فصل

[١٤] فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده[١] ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين[٢] ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه[٣].

[الصفة الثالثة عشرة: "الاستواء على العرش"]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

... الشرح ...

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف[٤].

قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٥]. وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن[١].

(١) الجحود هو الإنكار.

(٢) علامات المخلوقين وصفاتهم.

(٣) (بخلافه) لأن العقل يعجز عن إدراك ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾.

(٤) نقلة غير واحد وانظر فتح المجيد صـ ٦٢٥.

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ونحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء.

فائدة: وللمؤلف رحمه الله تعالى رسالة بعنوان إثبات صفة العلو – أعني لابن قدامة.

(٥) سورة طه، الآية: ٥.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي" رواه البخاري(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود في "سننه": "إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة إلى أن قال في العرش: بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك" وأخرجه أيضاً الترمذي، وابن ماجه، وفيه علة أجاب عنها ابن القيم رحمه الله في تهذيب سنن أبي داود (ص٩٢ – ٩٣ ج٧)(٣).

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو استواء حقيقي، معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء(٤). ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) الأعراف (٥٤) ويونس (٣) والرعد (٢) وطه (٥) والفرقان (٥٩) والسجدة (٤) والحديد (٤) .

(٢) (خ ٧٥٥٤) (م ٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٦) من حديث العباس رضي الله عنه وغيرهم، وسنده ضعيف جداً وضعفه الذهبي والألباني والأرنؤوط وغيرهم وانظر تخرجه في المسند، والرد على الجهمية (٧٢) لكن جاء عن ابن مسعود موقوفاً عليه بسند حسن: (... والعرش فوق الماء والله فوق العرش) انظر الأسماء الصفات (٨٥١).

(٤) ويرد عليه:

١-لفظ الاستواء مطرد، وعلامة الحقيقة عندكم الاطراد.

٢-هم ينفون عن الله عز وجل العلو ويقولون في كل مكان، وهذا يلزم منه الحلول والاتحاد.

ونزيد وجهاً رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى.

ووجهاً خامساً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد.

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وفي الشرع: العرش العظيم(١) الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وبأنه كريم، وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش(٢)؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه

٣-الذين ينكرون العلو حالهم كما هو حال فرعون حيث قال: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾.

٤-أن العباد مفطورون على أن الله عز وجل في علاه.

(١) يؤمن أهل السنة بالعرش وأنه أعلى المخلوقات وأعظمها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. وأن له قوائم كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً (فاستفيق فإذا موسى باطش بقوائم العرش) (خ ٣٤١٤) (م ٢٣٧٣) .

وأن له حملة كما قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾. ولا نعلم كيفية العرش لعدم ورود الوصف لذلك في الكتاب والسنة.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: والعرش والكرسي حق والله مستغنٍ عن العرش وما دونه. الطحاوية.

(٢) وعليه أهل السنة، وما ذُكر عن الحسن البصري قال: هما واحد، لا يصح عنه في سنده جويبر ضعيف، وضعفه ابن كثير (البداية ١ / ١٣) وانظر تفسر ابن كثير / آية الكرسي.

لقول ابن عباس رضي الله عنهما: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحـد قـدره".

رواه الحاكم في مستدركه. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[١].

****

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢٨٢) وابن خزيمة في التوحيد (١٠٧-١٠٨) وغيرهم وحسن سنده الألباني رحمه الله تعالى في كتاب العلو للذهبي ١٢٤.

وهو يفيد أن لله تعالى قدمين كما يليق بجلاله.

[الصفة الرابعة عشرة: "العلو"]

وقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك".

وقال للجارية: "أين الله؟ قالت في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة".

رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين: كم إلها تعبد؟ قال سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين. فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي.

وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن ما بين سماء الى سماء مسيرة كذا وكذا" وذكر الخبر إلى قوله: "وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك".

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

... الشرح ...

العلو من صفات الله(١) الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(١).

---

(١) والعلو أعم من الاستواء على العرش وشامل له، فالله عز وجل في علاه قبل أن يخلق العرش وبعد أن خلقه وبعد أن خلق السماء.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته في السجود: "سبحان ربي الأعلى".

رواه مسلم من حديث حذيفة(٢).

وأجمع السلف على إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

وينقسم إلى قسمين:

علو صفة بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق:

قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء﴾(٣)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك...". الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة بن محمد، قال البخاري: منكر الحديث(٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة". رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) (م ٧٢٢) وغيره.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد منكر الحديث، ورواه أحمد (٦/ ٢١)، وفيه ابن أبي مريم واهـ، وضعفه الذهبي الألباني وانظر مستدرك الحاكم محققًا (١/ ٤٨٨) وضعيف الجامع.

(٥) (م ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

وقوله صلى الله عليه وسلم لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: "اترك الستة، واعبد الذي في السماء" هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لحصين حين قال: "ستة في الأرض وواحداً في السماء"(١).

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه، وسلطانه، ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضاً.

وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه؛ لأنه صفة كمال.

وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٣٤٨٣) وفي سنده الحسن البصري مدلس ولم يسمع من عمران، وشبيب بن شيبة ضعيف، وقال الترمذي : هذا حديث غريب. أ.هـ .وأخرجه ابن قدامه في العلو (١٩) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٧ محقق) وغيرهما مطولاً.

وفي سنده عمران بن خالد ضعيف. وفي سنده أيضاً خالد بن طليق ضعيف، فهو حديث لا يصح، وضعفه الألباني.

* أما الدعاء وإسلام حصين فصحيح من طرق أخرى.

معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء، فـ "في" بمعنى "على"، وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو إنه في العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه: ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء)[1] وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.



(١) ورد هذا في أثر ضعيف: ذكر سنده ابن قدامه في العلو (٢١) إلى عدي بن عميرة.

وقال الذهبي في العلو صـ ٢٥ : هذا حديث غريب. قلت: وفي سنده أكثر من ضعيف ومجهول.

ولو صح سنده فهو من الإسرائيلات.

[جواب الإمام مالك رحمه الله تعالى]

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج (١).

... الشرح ...

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك، وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره، وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة.

ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩ هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. كيف استوى؟

فقال رحمه الله: (الاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار. (والكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته. (والإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة. (والسؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة)؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم.

****

(١) وسنده صحيح، وانظر اللالكائي (٦٦٤) والأسماء والصفات (٤٠٨) وغيرهما وصححه الألباني.

[فصل كلام الله تعالى]

[الصفة الخامسة عشرة: "الكلام"]

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم(١) يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله . وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ وقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾، وقال سبحانه: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

- وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان". رواه الأئمة واستشهد به البخاري(٣) .

- وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه يا موسى فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين

---

(١) كان الأولى التعبير بلفظ أزلي أو أوَّلي مكان (قديم) وكلام الله عز وجل صفة له سبحانه فعلية فهو يتكلم متى شاء وذاتيه لأنها لازمة للذات.

(٢) وسيأتي تخريجه.

(٣) وسيأتي في الشرح.

أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى[(١)].

... الشرح...

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[(٢)]. ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهَ﴾[(٣)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي". أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم[(٤)].

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله[(١)]، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) هذا من الإسرائيلات فلا يعتمد عليه.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٤) روى عن ابن مسعود موقوفاً بلفظ مقارب لهذا انظر التوحيد لابن خزيمة (١٤٦) وابن جرير (٢٢/ ٩٠) وغيرهما والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٦٥، ٤٦٦) وغيره وسنده صحيح موقوف. وأما ما جاء من رفعه فقد أعله الدار قطني بالوقف رواه (أبو داود ٤٧٣٨) وغيره.
ولكن جاء عن أُبي في صحيح البخاري بمعناه (٤٧٠١) (٤٨٠٠) وهو عند مسلم (٢٢٢٩) عن ابن عباس بمعناه. وأما ابن أبي حاتم فذكر الحافظ في الفتح (١٣ / ٤٥٧) من حديث النواس بن سمعان وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات والطبري (١٠/ ٣٧٣) وسنده ضعيف.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٢). فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه تعلق بمشيئته تعالى.

والدليل على أنه حروف، قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾(٣). فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

والدليل على أنه بصوت، قوله تعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾(٤) والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

وروي عن عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". علقه البخاري

(١) قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: فأهل السنة كلهم من السلف والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق أ.هـ الطحاوية (١٧٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن سلف الأمه وأئمتها ... ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكلم والمناجاة والمناداة . أ.هـ الفتاوى ٦/ ٥١٨ ، ١٢/ ١٧٣ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٢.

بصيغة التمريض، قال في "الفتح": وأخرجه المصنف في "الأدب المفرد" وأحمد، وأبو يعلي في "مسنديهما" وذكر له طريقين آخرين[(١)].

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد[(٢)].

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه – أي الكلام المعين المخصوص – حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى:

---

(١) علقه البخاري (١/ ١٧٣) ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠) وأحمد (٣/ ٤٩٥) وغيرهما من طريق ابن القاسم عن ابن عقيل عن عبد الله بن أنيس وابن القاسم وابن عقيل ضعيفان وضعفه الهيثمي .

وله طريق أخرى في مسند الشاميين (١٥٦) وسنده ضعيف فيه عبد الرحمن بن ثوبان العنسي فيه كلام، ولم أره في مسند أبي يعلي وحسنه الألباني في الأدب المفرد وعزاه إلى الصحيحة والحديث محتمل للتحسين بمجموع طريقيه، وللحديث شواهد، وضعفه شعيب الأرنؤوط وأصحابه في تحقيق المسند، وأظن هذا التضعيف ناتج عن هوى لا عن علم، لأنه أشعري، وإلا فعلى قواعده يحسن الحديث، والله أعلم.

(٢) حادث: متجدد الحصول متى شاء الله عز وجل.

الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هـو خلـق مـن مخلوقـات الله يخلقـه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريـف مثـل ناقـة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١ – أنه خلاف إجماع السلف.

٢– أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

٣– أن موسى سمع الله يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾(١). ومحال أن يقول ذلـك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحـروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١ – أنه خلاف إجماع السلف.

٢ – أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسـمع، ولا يسـمع إلا الصـوت ولا يسـمع المعنى القائم بالنفس.

٣– أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام:

قوله: (متكلم بكلام قديم) يعني قديم النوع حـادث الآحـاد لا يصـلح إلا هـذا المعنـى عـلى مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله: (سمعه موسى من غير واسطة) لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾(١).

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

قوله: (وسمعه جبريل) لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾(٢).

قوله: (ومن أذن له من ملائكته ورسله) أما الملائكة فلقوله صلى الله عليه وسلم: "ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)(٣) فيخبرونهم". الحديث رواه مسلم(٤).

وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج(٥).

قوله: (وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه) لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك". الحديث متفق عليه(٦).

قوله: (ويأذن لهم فيزورونه) لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم..." الحديث رواه ابن ماجه(٧) والترمذي وقال: غريب وضعفه الألباني.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٤) (م ٢٢٢٩) من حديث ابن عباس وأبي هريرة (خ ٤٧٠١).

(٥) (خ ٣٢٠٧) (م ١٦٤) من حديث أنس.

(٦) (خ ٧٥١٨) (م ٢٨٥٩).

(٧) (ت ٢٥٤٩) (جه ٤٣٣٦) وهو ضعيف في سنده عبد الحميد بن حبيب ابن أبي العشرين ضعيف.

وقوله: (وقال ابن مسعود: "إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء" وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم) أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها: "سمع أهل السموات للسموات صلصلة"، وأما المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا.." الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم(١).

****

(١) تقدم قريباً وأنه لا يصح رفعه، وصح موقوفاً بلفظ آخر نحوه.

[فصل القرآن كلام الله]

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه[(١)] فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

... الشرح...

"القول في القرآن":

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه.

ودليلُ أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾)[(٢)]. يعني القرآن.

ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[(٣)].

---

(١) أي: فأحسنه .

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١ .

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾(١). فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾(٢)، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُم﴾(٣). ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار(٤) أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.

(٤) أي: الأحاديث جاء من حديث حذيفة رواه (جـه ٤٠٤٩) وغيره وصححه الألباني والوادعي في جامعه، وانظر الطحاوية (١٨٧).

[القرآن حروف وكلمات]

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾، وقال بعضهم: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾، فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾، وقال بعضهم هو شعر فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، بعد أن أقسم على ذلك.

وقال تعالى: ﴿ كهيعص ﴾ ﴿ حم * عسق ﴾ وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة". حديث صحيح(١).

(١) (ضعيف) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٧٠) نحوه، وفي سنده نهشل بن سعيد متروك. وليس فيه (ومن قرأه ولحن ... الخ)، وأولَّه بلفظ (أعربوا) (المجمع ٧/ ١٦٣).

وأورده ابن قدامه في البرهان (٣٨، ٣٩) بنحوه وهو ضعيف جداً كما تقدم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "إقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه".(١)

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه (٢).

وقال علي رضي الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله (٣).

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

... الشرح...

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف رحمه الله لذلك أدلة ثمانية:

١- أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدي غير مقبول، إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

=وله شاهد عن عمر عند البيهقي في الشعب (٢٢٩٦) وابن عدي في الكامل (٨/ ٢٩٣) وفي سنده نوح بن أبي مريم ضعيف جداً.

(١) رواه أبو داود (٨٣١) وأحمد (٣/ ٣٩٧) وغيرهما من حديث سهل بن سعد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن و(الصحيحة ٢٥٩)، واحتج به الشيخ الوادعي في غارة الأشرطة وغيرها.

(٢) إسناده ضعيف جداً كما قاله بدر بن عبد الله صـ ١٨٣ تحقيق اللمعة ضمن مجموعة رسائل، أخرجه ابن الأنبارى في الوقف والأبتداء (١/ ٢٠) وفي سنده جابر الجعفي متروك. أ.هـ مختصراً.

(٣) لم أره وقد جاء عن ابن مسعود نحوه عند عبد الرزاق (٨/ ٤٨٢) وسنده صحيح، وروى هذا الأثر مرفوعاً ولا يصح (البيهقي ١٠/ ٤٣).

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾(١). ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

٤- أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(٢). ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(٣). ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

٥- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة". صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه(٤).

٦- قول أبي بكر وعمر: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٧- قول علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

٨- إجماع المسلمين – كما نقله المؤلف – على أن من جحد منه سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة.

أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي:

١- أنه كتاب الله المبين، أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ – ٧٩.

(٤) (ضعيف) تقدم.

٢- أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته.

٣- أنه سور محكمات، أي: مفصل السور، كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

٤- أنه آيات بينات، أي علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكماً ومتشابهاً، فالمحكم: ما كان معناه واضحاً، والمتشابه: ما كان معناه خفياً.

ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكماً.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

٧- أنه بريء مما وصفه به المكذبون به من قولهم: إنه شعر؛ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾(٢) ، وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(٣). ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾(٤). فقال الله متوعداً هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(٥).

٨- أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(٦).

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٢٥.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

[فصل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة]

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته". حديث صحيح متفق عليه(١)،

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

... الشرح ...

"رؤية الله في الآخرة":

رؤية الله في الدنيا مستحيلة(٢) لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾.

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف(٣).

---

(١) (خ ٥٧٣) (م ٦٣٣) عن جرير رضي الله عنه .

(٢) لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا) رواه مسلم (١٦٩) عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم. وأدعت الصوفية أنهم يرون الله عز وجل في الدنيا بالمكاشفات، وهو قول باطل للأدلة المتقدمة. الفتاوى ٢/ ٣٣٦. التنبيهات/ ١٥٧.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة، كما هو متفق علية بين أئمة الإسلام وهداة الأنام، وقد ثبتت رؤية الله عز وجل في الدار الآخر ة في الأحاديث المتواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها. أ.هـ . تفسير ابن كثير.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : اتفق على الرؤية جميع الأنبياء ...أ.هـ الفتاوى ٦/ ٤٨٥ .

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١). وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾(٢).

فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "'إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته" متفق عليه. وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية.

يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

وهي رؤية حقيقية تليق بالله، وفسرها أهل التعطيل(٤) بأن المراد بها رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين.

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٣) اختلف السلف هل يرى الكفار ربهم والراجح أنهم لا يرونه للآية المتقدمة، ودليله أنهم يوردون إلى النار قبل أن يكشف ربنا الحجاب عن وجهه كما في حديث جابر في مسلم.

وقد ألف ابن تيميه رسالة في ذلك لأهل البحرين، وهو قول الجمهور. الفتاوى ٦/ ٤٦٦.

(٤) الجهمية والمعتزلة نفوها وقالوا لأنه مستحيل وذكروا لهم شبهاً.

والرد عليهم:

١-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث جابر (فيتجلى لهم يضحك) فهذا صريح، ولا يقال إن الثواب يضحك.

٢-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه).فالرداء والكبرياء ليست من صفات الثواب.

٣-وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثبت بالعقل والشرع إمكان رؤية الله عز وجل فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى ... أ.هـ

مختصر الصواعق, ١٧٢

٤-أن رسول الله لما سئل هل نرى ربنا ؟ قال: (نعم كما ترون هذا القمر) فلم يترك تفسير الرؤية لأحد. الرد على بشر ١/ ١٩٦-, ٢٠٩

٥-قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا ولهذا لم ينكر عليه سؤال الرؤية بل أقره.

٦-قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: لا تحيط به مع رؤيتها له.

٧-سؤال بني إسرائيل الرؤية: ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾؛ لأنه سؤال تعنت فأنكر الله عليهم كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: سؤال تعنت وتكذيب وإلا فنزول الآية حاصل.

ولهم شبه أخرى.

* الأشاعرة يثبتون الرؤية وينكرون العلو ويقولون يرونه بلا مواجهة . أ.هـ.

وهذا تناقض واضح وقول باطل، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وقد ضحك العقلاء منهم).

مختصر الصواعق / ١٧٢ .

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: من قال إن الله يرى بلا جهة فليراجع عقلة. أ.هـ ٢١١

فالله تعالى يرى في جهة العلو.

ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة، وباعتبار التأويـل الثـاني بـذلك وبوجه رابع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة.

****

[فصل في القضاء والقدر]

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته[١] ولا يخرج شيء عن مشيئته[٢] وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحدٍ عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.

أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فقال جبريل صدقت. رواه مسلم(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره(١).

---

(١) إرادته الكونية.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : المشيئة مرادفه للإدارة الكونية لا تنقسم أ.هـ شفاء العليل.

(٣) رواه مسلم (٨) عن عمر. وأما حديث ابن عمر فعند الطبراني وسنده ضعيف، و في متنه أوهام كما سيأتي، وهو في مسلم عن ابن عمر عن عمر .

وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين وليس فيه ذكر القدر.

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيت)(٢).

...الشرح...

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٣). فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السماوات والأرض، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسال عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون، لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره" رواه مسلم وغيره، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه، ومره".

فالخير والشر باعتبار العاقبة، والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته.

وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً.

---

(١) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث صـ٣٢ من حديث أنس وسنده ضعيف جداً وجاء بمعناه عند الطبراني من حديث ابن عمر كما تقدم آنفاً وهذه الزياده منكرة فيه (حلوه ومره) (طب ١٢/ ١٣٥٨١) وفي سنده المطلب من زياد الثفقي له غرائب وأوهام وقد خالف أوثق منه.

(٢) رواه أبو داود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) عن الحسن رضي الله عنه (وغيره وسنده صحيح وصححه الشيخان الشيخ الألباني.

في صحيح السنن والإرواء (٤٢٩) والشيخ مقبل في الجامع (١/ ٢٨).

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٧.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته، فإن منه مـا يكـون خـيراً كالطاعـات، والصـحة، والغنى، ومنه ما يكون شراً كالمعاصي، والمرض، والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال: إنه شر لقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بـن عـلي "وقنـي شر مـا قضيت"، فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق؛ لقوله تعـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَـمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾(١).

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِـيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾(٢). أي نخلق الخليقة، ولقوله صـلى الله عليه وسلم: "إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السـماوات والأرض بخمسـين ألـف سنة" رواه مسلم(٢٦٣٥).

الثالث: أنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بـإرادة الله ومشـيئته الـدائرة بـين الرحمـة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمتـه وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنـه مطـابق لعلمـه السـابق ولمـا كتبـه في اللـوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾(١).

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شيء في السماوات والأرض مخلوق لله تعالى، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(٢). وقال على لسان إبراهيم: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

[القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية]

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

... الشرح ...

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصي كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية، وذلك لأدلة كثيرة منها:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(١). ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢). ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٣). ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل، أو الكف؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص.

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول: هذا ما قدر لي؟!

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١). ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

****

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل:

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك وأنه لم يجبر أحدا على معصية ولا اضطره الى ترك طاعة وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾ وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾. فدل على أن للعبد فعلا وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره.

... الشرح ...

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازي عليه الحسن بأحسن، والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب، لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد، فلذلك نسب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً، فلكل من النسبتين اعتبار، والله أعلم.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية. يقولون: العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك.

ونرد عليهم بأمرين:

١ – أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً.

٢– أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختيار والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وأدعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية: القدرية. يقولون: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة، ولا قدرة، ولا خلق

ونرد عليهم بأمرين:

١ – أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(١). ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

٢– أن الله مالك السماوات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟!

أقسام الإرادة والفرق بينهما:

إرادة الله تنقسم على قسمين كونية وشرعية:

فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾(٣).

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

والشرعية: هي التي بمعنى المحبة، كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(١).

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه.



(١) سورة النساء، الآية: ٢٧.

[فصل الإيمان . قول وعمل]

الإيمان قول وعمل والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق".

فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان " فجعله متفاضلاً.

... الشرح...

الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق[١].

واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.

مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

---

(١) ذكر شيخ ابن تيمية من عدة وجوه أن الصواب: الإقرار مع التصديق.

انظر الفتاوى (٧/ ١٢٢).

ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(١). فجعل الإخلاص، والصلاة، والزكاة من الدين.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" رواه مسلم بلفظ "فأفضلها قول لا إله إلا الله" وأصله في الصحيحين(٢).

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾(٣). ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِم﴾(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان" رواه البخاري بنحوه(٥). فجعله النبي صلى الله عليه وسلم متفاضلاً، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد.

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) (خ ٩) (م٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٥) (خ ٤٤) (م ١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

[فصل الإيمان بكل ما أخبر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)]

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه[١] ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه.

... الشرح ...

فصل في السمعيات

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار فهي بحق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا، أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ﴾[٢]. وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً:

الأمر الأول: الإسراء والمعراج[٣].

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً. وقيل بمعنى سرى.

وشرعاً: سير جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس؛ لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[١].

---

(١) أي جهلنا كيفيته.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٣) ولا يعلم كيفيته على التفصيل إلا الله عز وجل.

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم. من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾(٢). إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(٣). وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت؟ فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة، رواه ابن أبي شيبة(٤).

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة. رواه البيهقي.

فتكون في ربيع الأول، ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي.

ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً. رواه الحاكم. فتكون في ذي القعدة.

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل: بخمس. وقيل: بست.

وكان يقظة لا مناماً، لأن قريشاً أكبرته وأنكرته، ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات.

وقصته: أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السماوات العلى سماء، سماء، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، واطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١ – ٢.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٤) انظر هذا الآثار وزيادة في تفسير سورة الإسراء لابن كثير والطبري، وقد ورد من طرق أخرى.

إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون(١).

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: "أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت" فرد الله عليه عينه وقال: "ارجع إليه، وقل له يضع يد على

متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة" فقال موسى: ثم ماذا؟

قال: ثم الموت قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر،

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر". وهذا الحديث ثابت في الصحيحين (٢)وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره(٣) معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك.

ونرد عليهم: بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو، يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه.

---

(١) (خ ٣٢٠٧) (م ١٦٤) عن أنس عن مالك بن صعصعة وجاء حديث الإسراء عن عدة من الصحابة. والجمهور على أنه أسرى بروحه وجسده معاً لقوله (بعبده) ولفظ العبد تشمل الروح والجسد. الطحاوية / ٢٧٦ .

وكان قبل الهجرة ولا يعلم في أي عام وأي يوم بالتحديد ولم يتكرر على الصحيح.

(٢) (خ ٣٤٠٧) (م ٢٣٧٢) عن أبي هريرة.

(٣) وهم العقيلانيون من المعتزله وأتباعهم قال ابن خزيمه رحمه الله تعالى: أنكره بعض المبتدعة.

وبعث ملك الموت إلى موسى حقيقة.

وكون موسى لطمه دفعاً عن نفسه وقيل غير ذلك وهذه الأخبار لا يسع المسلم فيها إلا التصديق.

ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه، ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثورة.



[الأمر الثالث: أشراط الساعة]

ومن ذلك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل(١).

... الشرح ...

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة. والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه.. والمراد بها هنا: القيامة. فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾(٢). وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

١- (خروج الدجال) وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعاً: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية. وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات".

رواه مسلم(٣). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ منه في الصلاة. متفق عليه(٤).

وأجمع المسلمون على خروجه.

---

(١) وقد جمع العلماء ذلك في كتب مستقله كالنهاية لابن كثير مجلدين وغيرها.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٣) (م ٥٩٠) عن ابن عباس.

(٤) (خ ٨٣٢) (م ٥٨٩) من حديث عائشة وغيرها.

وقصته[١] أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب. ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح، إلا مكة والمدينة فمنع منهما، ومدته أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيامه كالعادة، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته نار، وناره جنة. حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "من سمع به فلينأ عنه، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، أو بفواتح سورة الكهف[٢]".

٢- (نزول عيسى ابن مريم): نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٣]. أي: موت عيسى، هذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً وعدلاً".

الحديث متفق عليه[٤].

---

(١) أي الدجال (م٢٩٣٧) عن النواس رضي الله عنه . (خ ١٨٨٢) (م ٢٩٣٨) عن أبي سعيد رضى الله عنه وعن جمع الصحابة نحو ثلاثين وللشيخ الألباني رسالة في ذلك.

(٢) (م ٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان والدجال موجود الآن وأنكره الخوارج ومن إليهم من العقلانيين وهذا ضلال منهم وجهل بالدين.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩ .

(٤) (خ ٢٢٢٢) (م ١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في صحيح مسلم[١] وبعضه في الصحيحين كليهما[٢]. وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون[٣]. وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم[٤]، والله أعلم.

٣- (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان، أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب، أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب، والسنة.

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً* قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾[٥]. الآيات.

---

(١) (م ٢٩٣٧) عن النواس رضي الله عنه.

(٢) (خ ٣٤٤٨) (مسلم ١٥٥) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) (أحمد / ٤ / ٦) (أبو داود ٤٣٢٤)وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صححه الشيخ الألباني (الصحيحة / ٢١٨٢).

(٤) (١/ ٢٦٣) والترمذي (٣٦١٧) وغيرهما وقال البخاري: لا يصح ، وقال الحافظ : لا يثبت.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله يوم القيامة: يا آدم، قـم فابعـث بعـث النـار مـن ذريتك"، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشروا فإن منكم واحداً ومن يـأجوج ومأجوج ألفاً" أخرجاه في الصحيحين(١).

وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجـدت في عهـد النبـي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين(٢) أن النبي صلى الله عليـه وسـلم قـال: "فـتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها".

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٣). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات". فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. رواه مسلم(٤)، وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال: "فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه

(١) (خ ٦٥٢٩/ ٦٥٣٠) (م ٢٢٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) (خ ٧١٣٥) (م ٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٤) (م ٢٩٣٧).

مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله". رواه مسلم(١).

٤ - (خروج الدابة) الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة.. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات" وذكر منها الدابة. رواه مسلم(٣).

---

(١) (م ٢٩٠١).

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٣) (م ٢٩٠١).

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر(١). وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك. والله أعلم.

٥- (طلوع الشمس من مغربها) طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾(٢). والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" متفق عليه(٣).



(١) بل هي ثابتة في قصة تميم الداري في مسلم (٢٩٤٢) في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .وفيه (... فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبلها من دبرها من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت : أنا الجساسة ...) الحديث والله أعلم.

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: ... أما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها للناس ووسمها إياهم بالإيمان والكفر فأمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضية ...أ.هـ والطحاوية / ٥٠٢) .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٣) (خ ٤٦٣٦) (م ١٥٧) من حديث أبي هريرة.

قال: ابن أبي العز رحمه الله تعالى: ... كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية فهذه الآيات والأشراط نؤمن بها ونصدق . ا.هـ/ ٥٠٢ .

[فتنة القبر]

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وأمر به في كل صلاة. وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

... الشرح...

الفتنة لغة: الاختبار. وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(٢) متفق عليه(٣).

والسائل ملكان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه". رواه مسلم(٤).

واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وقال حسن غريب.

قال الألباني: وسنده حسن وهو على شرط مسلم(١)، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح، وفي غير المكلفين خلاف(٢)،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) (خ ١٣٦٩) (م ٢٨٧١) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٤) بل متفق عليه (خ ١٣٣٨) (م ٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال. ويستثنى من ذلك الشهيد(٣)؛ لحديث رواه النسائي، ومن مات مرابطاً في سبيل الله لحديث رواه مسلم(٤).

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة، وإجماع أهل السنة. قال الله تعالى في سورة "الواقعة": ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾(٥) ، إلى قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾(٦). إلخ السورة..

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك(٧). وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر،

---

(١) (ت ١٠٧١) وغيره وصححه الألباني في صحيح الترمذي وانظر الصحيحة (١٣٩١).

(٢) وقال الشيخ في الواسطية : لا يسألون لعدم التكليف . ٤٧٦ – ٤٧٨ / الروح / ٨٧ – ٨٨.

(٣) لما رواه النسائي (٢٠٥٣) أن رجلاً قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال: (كفى ببارقة السيوف على رأسهم فتنه) صححه العلامة الألباني في صحيح السنن.

(٤) المرابط لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه عمله وأمن الفتان)رواه مسلم (١٩١٣).

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣، ٨٤.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٨٧ – ٨٩.

(٧) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه مسلم (٥٩٠) وعائشة (خ ١٠٤٩) (م ٩٠٣) والأمر في حديث أبي هريرة في مسلم (٥٨٨) وزيد ثابت في مسلم (٢٨٦٧) ولفظه (استعيذوا بالله في عذاب القبر).

قال في المؤمن: "فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره". وقال في الكافر: "فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه".

الحديث رواه أحمد وأبو داود(١).

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح)(٢).

---

(١) المسند (٤/ ٢٨٧) سنن أبي داود (١٣/ ٨٩/ العون) وسنده صحيح،
(الجامع الصحيح ١/ ٣٧٣-٣٧٥) صحيح أبي داود للشيخ الألباني.

(٢) (الروح صـ٦١-٦٢).

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على ذلك.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا[١].

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيميه[٢]: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

---

(١) ويقال لهم أيضاً.

-أن هذا من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل.

-دار البرزخ لا يعلم كيفيتها إلا أهلها.

-النائم ربما يرحل أو يعذب والمستيقظ بجانبه لا يشعر بشيء فكذلك عذاب القبر.

أن الله عز وجل قادر على كل شيء فيصرف أبصارنا وأسماعنا عن ذلك كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» فمن رحمه الله بنا عدم إدراكنا لذلك.

(٢) الفتاوى (٤ / ٢٨٢) وانظر الروح لابن القيم (٤٨-٤٩).

النفخ في الصور:

النفخ معروف. والصور لغة: القرن.

وشرعاً: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش.

وهما نفختان:

إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

الثانية: نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(١).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون". رواه مسلم(٣) في حديث طويل. وقد اتفقت الأمة على ثبوته.

****

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) سورة يس، الآية: ٥١.

(٣) (م ٢٩٤٠).

البعث والحشر

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيحاسبهم الله تبارك وتعالى.

... الشرح...

البعث لغة: الإرسال، والنشر.

وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة: الجمع.

وشرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء(٣) كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد" متفق عليه(٤).

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) أي غير شديدة البياض.

(٤) (خ ٦٥٢١) (م ٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[١]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم تحشرون حفاة، عراة، غرلاً" ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٢] وأول من يكسى إبراهيم". متفق عليه[٣].

وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: "يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً، بهماً". قلنا: وما بهماً؟ قال: "ليس معهم شيء"[٤] الحديث.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) (خ ٣٣٤٩) (م ٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) تقدم التعليق عليه.

الحساب

الحساب لغة: العدد.

وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾(١). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حساباً يسيراً". فقالت عائشة: ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه" رواه أحمد(٢). وقال الألباني إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفه الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك.

قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. متفق عليه من حديث ابن عمر(٣).

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. متفق عليه(٤).

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٢) أحمد (٦/ ٤٨) بهذا اللفظ ورواه (٦/ ١٨٥) وابن أبي عاصم (٨٨٥) دون ذكر (الصلاة وقوله اللهم حاسبني حساباً يسيراً) وسند أحمد الأول فيه عبد الواحد بن حمزة لا بأس به، والحديث في الصحيحين (خ ١٠٣) (م ٢٨٧٦) دون هذه اللفظة.

(٣) (خ ٢٤٤١) (م ٢٧٦٨).

(٤) (خ ٦٥٤١) (م ٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً، قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد(١).

وأول من يحاسب هذه الأمة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق" متفق عليه(٢)، وروى ابن ماجه(٣) عن ابن عباس مرفوعاً: "نحن آخر الأمم وأول من يحاسب". الحديث.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله" رواه الطبراني في "الأوسط"(٤) وسنده لا بأس به إن شاء الله، قاله المنذري في

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٨٠)وله شواهد منها حديث حذيفة رضي الله عنه عند أحمد (٥/ ٣٩٣) وبلفظ (مع كل ألف) وقد ذكر سيخنا له شواهد (الشفاعة ص ١٢٩-١٣١) واللفظ الذي ذكره الشارح وهم .وشاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٣٥٩) وسنده ضعيف [وانظر الجامع الصحيح (٤/ ١٤٨)] والله أعلم.

(٢) (خ ٨٧٦) (م٨٥٥) (م٨٥٦) واللفظ لمسلم.

(٣) (جه ٤٢٩٠) وغيره وصححه الألباني وهو بمعنى ما قبله الصحيحة (٢٣٧٤) وصححها الوادعي أيضاً في جامعه (٤/ ١٤٦).

(٤) (١٨٨٠) من حديث أنس وهو في السنن (ت ٤١٣) (جه ١٤٢٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة وسنده حسن بالمجموع وصححه الألباني في السنن وجاء عن رجل من الصحابة عند أحمد (٢/ ١٥٨) وسنده صحيح وهو في الجامع الصحيح (٢/ ١٥٨).

"الترغيب والترهيب" (ص٢٤٦ ج١). وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" متفق عليه[1].

****

(١) (خ٦٨٦٤) (م١٦٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(نشر الدواوين)

وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾.

...الشرح...

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء.

وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم.

وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً* وَيَصْلَى سَعِيراً﴾(١). ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "هل تذكرون أهليكم؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه، أم في شماله، أم وراء ظهره،

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ٧ – ١٢.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.

وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجاوز". رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما(١).

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

صفة أخذ الكتاب

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَأوا كِتَابِيَهْ﴾(٢).

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾(٣).

****

(١) (د ٤٧٥٥) (الحاكم ٤/ ٥٧٨) من طريق الحسن عن عائشة، وقال الحاكم صحيح لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، ورواه أحمد (٦/ ١١٠) وغيره، وفي سنده ابن لهيعه ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني ومن حسنه بالطريقين فله وجه.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

[الموازين]

والميزان له كفتان ولسان(١) توزن به الأعمال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

... الشرح...

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(٢) ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" متفق عليه(٤).وأجمع السلف على ثبوت ذلك(٥).

---

(١) ذكر اللسان لا نعلم له دليلاً لكنه وارد عن السلف.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٤) (خ ٦٤٠٦) (م ٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) وتأوله المبتدعة بالعدل الرد عليهم:

١ - أن هذا خلاف الكتاب والسنة.

٢ - أنه صرف لظاهر اللفظ إلى معنى مرجوح بدون دليل ولا قرينه.

وهو ميزان حقيقي، له كفتان، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب البطاقة قال: "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة". الحديث رواه الترمذي وابن ماجه. قال الألباني: إسناده صحيح[1].

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم، أو الأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث منفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل[2]. والله أعلم.

والذي يوزن العمل، لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة". وقال: اقرأوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[3]. متفق عليه[1].

٣- قوله في الحديث (وبيده الأخرى الميزان) فلا يصح أن يقال بيده العدل.

٤ -حديث البطاقة حيث قال (فتوضع في كفة) والعدل معنوي لا كفة له فتأمل.

(١) (ت ٢٦٣٩) (جه ٤٣٠٠) وصححه الشيخان الألباني في السنن والوادعي في جامعه (١/ ٤٣٦).

(٢) ورجح الشيخ في الواسطية أنه ميزان واحد، وهو الحق إن شاء الله تعالى.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٥ .

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن، والله أعلم.



(١) (خ ٤٧٢٩) (م ٢٧٨٥).

[الحوض]

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضًا مـن اللـبن، وأحـلى مـن العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

... الشرح ...

الحوض لغة: الجمع. يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعاً: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة(١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني فرطكم على الحوض". متفق عليه(٢).

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض.

ونرد عليهم بأمرين:

١ – الأحاديث المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ – إجماع أهل السنة (٣)على ذلك.

---

(١) قال الحافظ رحمه الله تعالى (١/ ٤٤٦ الفتح): وأجمع السلف على إثباته وأنكره المبتدعة – الخوارج والمعتزلة – أ.هـ

(٢) متفق عليه (خ ٦٥٨٣) (م ٢٢٩٠) من حديث سهل وجماعه رضي الله عنهم، منهم أبو سعيد وجندب وجابر بن سمره وأبو هريرة وغيرهم.

(٣) وأيضاً:

١ –أن هذا من أمور الغيب التي يجب فيه التسليم المطلق.

٢ –العقل لا يمنع من وجود ذلك فقد أوجد الله عز وجل الإنسان من عدم فهو على كل شيء وقدير.

٣ –قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (والله إني لأنظر إلى حوضي الآن) فقد رآه فلا مجال لإنكاره.

صفة الحوض:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما(١).

وهو موجود الآن لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن". رواه البخاري(٢).

واستمداده من الكوثر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض". رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن(٣).

ولكل نبي حوض، ولكن حوض نبي صلى الله عليه وسلم أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لكل نبي حوضاً، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة". رواه الترمذي وقال غريب(٤).

---

(١) انظر (خ ٦٥٧٩ ، ٦٥٨٠) (٦٥٧٥ / ٦٥٩٣) (م ٢٢٩٢ ، ٢٣٠٣ ، ٢٣٠١ ، ٢٢٨٩) وغيرها عن جماعه عن الصحابة.

(٢) بل متفق عليه (خ٦٥٩٠) (م ٢٢٩٦) من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أحمد (٥/ ٢٩٣) حسن بمجموع طرقه، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف، لكن له شواهد في الصحيح وغيره، وكلام ابن كثير في نهاية النهاية (٢/ ٢٤٤).

(٤) (ت ٢٤٤٣) وجميع طرقه لا تخلوا من مقال . لكن صححه الألباني بمجموعها (الصحيحة ١٥٨٩) وللحافظ كلام نفيس حول هذا الحديث (الفتح ١١/ ٤٦٧).

وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.



[الصراط]

والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

... الشرح...

الصراط لغة: الطريق.

وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(١). فسرها عبد الله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط(٢).

وفسرها جماعة، منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم" متفق عليه(٣). واتفق أهل السنة على إثباته.

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٢) وهو الراجح وتدعمه ظواهر الأدلة.

(٣) (خ ٧٤٣٩) (م ١٨٣) من حديث ابن سعيد رضي الله عنه.

صفة الصراط:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصراط فقال: "مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان" رواه البخاري(١). وله من حديث أبي هريرة: "وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم"(٢). وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف(٣).

وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: "فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم" متفق عليه. وفي صحيح مسلم(٤): "ترجي بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً". وفي صحيح البخاري: "حتى يمر آخرهم يسحب سحباً"(٥).

---

(١) بل متفق عليه من حديث أبي سعيد كما تقدم آنفاً.

(٢) بل متفق عليه (خ ٦٥٧٣) (م ١٨٢).

(٣) (م ١٨٣) عقب حديث أبي سعيد المتقدم.

(٤) (م ١٩٥) من حديث حذيفة أبي هريرة رضي الله عنهما.

(٥) (خ ٧٤٣٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الأمم أمته؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم" رواه البخاري.



[الشفاعة]

ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر؛ فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحِمَمًا فيدخلون الجنة بشفاعته.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

... الشرح ...

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً.

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعامة له ولغيره. فالخاصة به صلى الله عليه وسلم شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون إلا النبي صلى الله عليه وسلم، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده(١).

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور(٢) لكن سنده ضعيف متكلم فيه، وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

---

(١) كما في حديث أبي هريرة الطويل (خ ٤٧١٢)(م ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الطوال (٢٥/ ٢٦٦) (٣٦) غيره، وفي سنده إسماعيل بن رافع عن محمد زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة به وإسماعيل ضعيف جداً، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤٦) وقال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية[١]: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج، ويشترط فيها إذن الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾[٢].

النوع الثاني العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمياً؛ لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس – أو كما قال – تصيبهم النار بذنوبهم – أو قال – بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة" الحديث رواه أحمد[٣].

قال ابن كثير في النهاية (ص٢٠٤ ج٢): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجها من هذا الوجه[٤].

وهذه الشفاعة تكون للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين؛ لحديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة،

واختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ... ويقال أنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. .أ.هـ فالحديث ضعيف.

(١) الطحاوية (٢٣١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٥) .

(٤) هو في مسلم بهذا اللفظ (١٥٠).

وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً" متفق عليه(١).

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة(٢) والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ونرد عليهم بما يأتي:

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أنه مخالف لإجماع السلف.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٣).

---

(١) (خ ٧٤٣٩) (م ١٨٣) . من حديث أبي سعيد المتقدم.

(٢) وهذا الإنكار ناتج عن قولهم إن الله عز وجل لا يجوز عليه إخلاف الوعيد.

ونقول لهم نحن نرجو أن يشفع الله تعالى لأهل الكبائر منا وأنتم يلزم على قولكم بقاؤكم في النار فبدعكم هذه من أكبر الكبائر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له(١)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٢).
فأما الكافر فلا شفاعة له؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(٣). أي لو فرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة(٤).

وأما شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النار عذاباً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" رواه مسلم(٥). فهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعمه أبي طالب فقط، وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وعما جاء به.



(١) وهناك شرطان آخران: ١-قدرة الشافع على الشفاعة فمن طلبها من غير قادر أشرك كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.
٢-إسلام الشافع والمشفوع كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾
والمراد بالظالمين هنا الكافرين.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٤) كما في الحديث (إن إبراهيم يقول: يا رب ألم تعدني أنك لا تخزني يوم القيامة فأي خزي أعظم من أبي الأبعد. فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين ...) الحديث .

(٥) رواه مسلم (خ ٣٨٨٣) (م ٢٠٩) عن العباس، (خ ٣٨٨٥) (م ٥١٠) عن أبي سعيد، (م٢١١) (خ ٦٥٦١) عن النعمان بن بشير (م ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

الجنة والنار

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون، وأهل النار فيها مخلدون، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾

... الشرح ...

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١). وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٢).

والإعداد: التهيئة. ولقوله صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الكسوف: "إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع" متفق عليه(٣).

والجنة والنار لا تفنيان لقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٣) (خ ١٠٥٢، ٤٩٠١) (م ٩٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقد تقدم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(٢).وفي الأحزاب:﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾)(٣).وفي الجن: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(٤). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾(٥).

مكان الجنة والنار(٦):

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾(٧) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: "فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض"(١).

---

(١) سورة البينة، الآية: ٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٦) وقال بعض أهل الزيغ : إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟

الجواب: حيث شاء الله. كما أن الجنة عرضها كعرض السموات والأرض وطولها لا يعلم قدره إلا الله فقد قال صلى الله عليه وسلم: (في الجنة مائه درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض أعدت للمجاهدين...) هذه للمجاهدين فقط وبقيت درجات للأنبياء والعلماء وغيرهم من المسلمين وكل هذا حيث شاء الله تعالى، وكذلك النار حيث شاء الله عز وجل.

(٧) سورة المطففين، الآية: ١٨.

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(٢). وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى".

أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣). ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾(٤).

وأهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٥). ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾(٦).



(١) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) وغيره وصححه الشيخان وقد تقدم.

(٢) سورة المطففين، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠٦.

[ذبح الموت]

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت.

... الشرح...

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنار؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت". ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١). أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية(٢)، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً(٣).



(١) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٢) (خ ٤٧٣٠) مسلم رقم (٢٨٤٩).

(٣) (خ ٦٥٤٨) مسلم رقم (٢٨٥٠).

فصل في حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته .

* صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

... الشرح ...

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون. وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(١).

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في "الأحزاب": ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(٢).

وفي "الشورى": ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة" متفق عليه(١)، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج(٢) وغير ذلك من الأدلة. ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل، ثم موسى؛ لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.



(١) (خ ٤٧١٢) (م١٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

اختص النبي صلى الله عليه وسلم بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

١ - خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١).

٢- سيد المرسلين وسبق دليله.

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛ لقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٢). وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

٤ - لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥- سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة". وسبق.

٦- صاحب لواء الحمد، يحمله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

لـوائي، وأنـا أول مـن تنشـق عنـه الأرض ولا فخـر" رواه الترمـذي(١)، وقـد روى الأولى والأخيرة مسلم(٢).

٧- صاحب المقام المحمود، أي: العمل الذي يحمده عليـه الخـالق والمخلـوق؛ لقولـه تعـالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾(٣). وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه صلى الله عليـه وسلم يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

٨- صاحب الحوض المورود، والمراد الحوض الكبير الكثير واردوه، أما مجرد الحياض فقد مـر أن لكل نبي حوضاً.

٩- ١١- إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم؛ لحديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شـفاعتهم غـير فخر". رواه الترمذي وحسنه(٤).

(١) (ت ٣١٤٨) وغيره من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وفي الحديث اختلاف أيضاً وله شواهد إلا ذكر اللواء.

(٢) (م ٢٢٧٨/ ٣) عن أبي هريرة.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) (ت ٣٦١٥) وابن ماجه (٤٣١٤) وأحمد (٥/ ١٣٧) وغيرهم وفي سنده ابن عقيل ضعيف وحسنه الألباني رحمه الله تعالى وأخرجه الدارمي (٤٨) والترمذي (٣٦١٠) نحوه وزيادة من طريقة ليث ابن أبي سليم وهو ضعيف مدلس.

وفي متنه نكاره وضعف هذه الطريق الألباني رحمه الله تعالى، وهو بالطريقتين محتمل للتحسين، والله أعلم.

١٢- أمته خير الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١]. فأما قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢]. فالمراد عالمي زمانهم.

****

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

فضائل الصحابة

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى- رضي الله عنهم أجمعين لما روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان [ثم علي]. فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره.

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث(١).

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر(٢).

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم(٣) وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته(٤) ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه.

---

(١) صحيح رواه أحمد (١/ ١٠٦) وغيره بعدة أسانيد قويه فالأثر صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنه (١٢٢٤) وغيره وفي سنده عبد الله بن سفيان الخزاعي ضعيف وبقية مدلس وقد عنعن وله طريق أخرى عند أبي نعيم في الحلية (١٠/ ٣٠١) وفيها إسماعيل بن يحيى التيمي كذاب فالحديث ضعيف.

(٣) (خ ٧١٢) (م٤١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) (خ ٣٦٦٨).

ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له[١].

ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ[٢]".

وقال صلى الله عليه وسلم: "الخلافة من بعدي ثلاثون سنة"[٣]. فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.

... الشرح...

الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أصحاب الأنبياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني". الحديث رواه البخاري[٤] وغيره.

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم.

---

(١) (خ ٣٧٠٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) وأحمد (٥/ ٢٢٠) وغيرهم وصححه الألباني في السنن والوادعي في جامعه (٤/ ٥٠٤).

(٤) (خ ٣٦٥٠) (م ٢٥٣٥) عن عمران رضي الله عنه.

(خ ٣٦٥١) (م ٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فأبو بكر هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب، أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمته، اسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام قاله ابن إسحاق يعني من الذكور بعد الرسالة.

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده.

استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة.

وعثمان هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم كان غنياً سخياً، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال.

وعلي وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه[1]، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما، فكان هو الخليفة شرعاً إلى أن قتل شهيداً في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة.

(١) (خ ٣٧٠١) (م ٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان" رواه البخاري(١) ولأبي داود: "كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان"(٢).

زاد الطبراني في رواية: "فيسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره"(٣).

هذا ولم أجد اللفظ الذي ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رضي الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لفضله، وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت.

علي وعثمان وسعد وطلحة   زبير وذو عوف رجال المشورة

---

(١) (خ ٣٦٥٥) (٣٦٩٧).

(٢) (د ٤٦٢٨) وسنده صحيح.

(٣) ضعيف (طب ١٢/ ٢٨٥) وهو في مجمع البحرين بسنده في الأوسط (٦/ ٣٦٥٢) إلا أن سنده ضعيف فهو في الكبير من طريق إسحاق بن زبريق عن عمرو بن الحارث، وإسحاق ضعيف جداً عن عمرو بن الحارث.

وقد روى بسند أحسن منه قبله وليس فيه هذه الزيادة.

وأما سند الأوسط فهو شاذ فيه ابن لهيعة والحديث روي عن نافع عن طرق كثيرة ليس فيها هذه الزيادة، وله طريق أخرى عن ابن لهيعة أضعف من الأولى عند أبي يعلى (٦٥٠٤).

ثم علي رضي الله عنه لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ(١)".

وقال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة". رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٢).

قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رضي الله عنه أثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٢٠) (ت ٢٢٢٦) (د ٤٦٤٦) ، صحيح أبي داود (٤٨٨٢)، الجامع الصحيح (٤/ ٥٠٨) عن سفينة رضي الله عنه.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة ٤١ هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة".

وقوله في الحسن: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". رواه البخاري(١).



(١) (خ ٢٧٠٤) من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

[الشهادة بالجنة أو النار]

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة).

وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهدنا له بها كقوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وقوله لثابت بن قيس: (إنه من أهل الجنة).

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

... الشرح...

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

وتنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار.

والخاصة هي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

المعينون من أهل الجنة:

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف لأن النبي صلى الله عليه وسلم جمعهم في حديث واحد فقال: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة".

رواه الترمذي[١]وصححه الألباني.

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة، وأما الباقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهرٍ والزبير الممدح.

فطلحة هو ابن عبيد الله من بني تميم بن مرة، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقيه ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة بن كلاب، توفي سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع.

وسعد بن أبي وقاص، هو ابن مالك من بني عبد مناف ابن زهرة، أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة.

وسعيد بن زيد، هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة.

أبو عبيده هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر، من السابقين إلى الإسلام توفي في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة.

وممن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة الحسن، والحسين، وثابت بن قيس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". رواه الترمذي، وقال حسن صحيح[١].

(١) (ت ٣٧٤٨) (د ٤٦٤٩) وغيرهما من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى، واحتج به الشيخ مقبل رحمه الله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم في ثابت بن قيس: "إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة" رواه البخاري(٢).

فالحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولد في ١٥ رمضان سنة ٣هـ، ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول سنة ٥٠هـ.

والحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد في شعبان سنة ٤هـ، وقتل في كر بلاء في ١٠ محرم سنة ٦١هـ.

وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، قتل شهيداً يوم اليمامة سنة ١١هـ في آخرها، أو أول سنة ١٢هـ.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة:

من المعينين بالقرآن: أبو لهب عبد العزي بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وامرأته أم جميل اروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان؛ لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(٣) إلى آخر السورة.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه".

رواه البخاري(١).

---

(١) (ت ٣٧٦٨) وأحمد (٣/ ١٦٦) وغيرهما وصححه الشيخان الألباني والوادعي في جامعه (٤/ باب فضائل الحسن والحسين).

(٢) (خ ٣٦١٣)(م ١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيته يجر أمعاءه في النار". رواه البخاري وغيره(٢).

****

---

(١) متفق عليه عن النعمان بن بشير وغيره وقد تقدم في باب الشفاعة.

(٢) (خ ٤٦٢٤) (م ٩٠١) من حديث عائشه رضي الله عنها ، ومسلم (٩٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(خ ٣٥٢٠) عن عمران رضي الله عنه .(خ ٣٥٢١) (م ٢٨٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[تكفير أهل القبلة بالمعاصي]

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

ونرى الحج والجهاد ماضيان مع طاعة كل إمام برًّا كان أو فاجرًا وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس قال النبي ﷺ: "ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال: لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار". رواه أبو داود(١).

... الشرح...

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها، لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(٢) إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(٣). فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه". يعني من النار. متفق عليه(٤).

---

(١) (د ٢٥٣٢) وغيره عن أنس، وفي سنده يزيد بن أبي نشبه مجهول وهو حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود وضعيف الجامع.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٤) (خ ٤٤) (م ١٩٢/ ٣٢٥) من حديث أنس بنحو هذا اللفظ وجاء عن عدة من الصحابة بنحوه.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار.

ونرد على الطائفتين بما يلي:

١- مخالفتهم نصوص الكتاب، والسنة.

٢- مخالفتهم لإجماع السلف.

****

[حقوق الصحابة رضي الله عنهم]

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

... الشرح ...

للصحابة رضي الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله، ورسوله، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظ دين الله بحفظ كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، علماً، وعملاً، وتعليماً حتى بلغوه الأمة نقياً طرياً.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾(١). إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى كرامتهم حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". متفق عليه(٢).

فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق، فلهم على الأمة:

١ - محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) (خ٣٦٧٣) (م ٢٥٤١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

٢- الترحم عليهم، والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١).

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي". الحديث.



(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

[حكم سب الصحابة]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه(١)".

... الشرح...

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه في كتاب "الصارم المسلول"، ونقل عن أحمد (ص٥٧٣) قوله: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع".



(١) تقدم قريباً .

[حقوق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم]

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

... الشرح...

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١ – خديجة بنت خويلد أم أولاده – ما عدا إبراهيم – تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين: الأول عتيق بن عابد. والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها حتى ماتت سنة ١٠ هـ من البعثة قبل المعراج.

٢– عائشة بنت أبي بكر الصديق، أريها صلى الله عليه وسلم في المنام مرتين أو ثلاثاً. وقيل: هذه امرأتك، فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ٥٨هـ.

٣– سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر وقيل سنة ٥٤هـ.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد، وماتت سنة ٤١هـ.

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أحد، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد، وماتت سنة ٦١هـ.

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم، تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ، وماتت سنة ٢٠هـ.

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية، تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل: مالك بن صفوان سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٦هـ.

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر(١) هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم، أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم. والثاني كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٠هـ.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين: الأول ابن عبد ياليل والثاني أبورهم بن عبد العزي، بنى بها في سرف، وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، اللاتي كان فراقهن بالوفاة، اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

---

(١) كذا في كتب السير والتاريخ، وروي في عدد من المراسيل، والله أعلم.

وبقي اثنتان لم يدخل بهما، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١- أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال ابن إسحاق: إنه وجد في كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

٢- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت: "أعوذ بالله منك[١]" ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، وعائشة رضي الله عنهما[٢]، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة، والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

(١) رواه البخاري (٥٢٥٤) عن عائشه رضي الله عنها .

(٢) وخديجه أفضل بنص الحديث لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خير نسائها خديجة) – أي هذه الأمة – رواه مسلم (٢٤٣٠) فلا مفاضلة بعد ورود النص، والله أعلم.

قذف أمهات المؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن، وفي قذف غيرها من أمهـات المـؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي صلى الله عليه وسـلم، فـإن الخبيثـات للخبيثين.



[معاوية بن أبي سفيان]

ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

... الشرح...

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين ، وأسلم عام الفتح وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه، ولاه عمر الشام واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة. وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنة ص١٩٩ ج٢ نزاعاً بين العلماء: هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا(١)؟

****

(١) والراجح عدم قول ذلك؛ فلا دليل عليه. والله أعلم.

[الخلافة والإمارة]

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

... الشرح...

الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تولي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما ي خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(1).

ولقوله صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". متفق عليه(2).

وسواء كان الإمام برًّا وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركاً، أو فاجراً وهو الفاسق لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة". رواه مسلم(3).

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف "ثلاث من أصل الإيمان..." إلخ ضعيف كما رمز له السيوطي في الجامع الصغير، وفيه راو قال المزي: إنه مجهول. وقال المنذري في مختصر أبي داود: شبه مجهول.

والثلاث الخصال المذكورة فيه هي: "الكف عمن قال: لا إله إلا الله" والثانية: "الجهاد ماض" إلخ. والثالثة: "الإيمان بالأقدار".

---

(1) سورة النساء، الآية: 59.

(2) (خ 7144) (م1839) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) (م 1855) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان". متفق عليه[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: "يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع" قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا. لا، ما صلوا". أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم[(٢)].

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح[(٣)]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة.

****

(١) (خ ٧٠٥٥) (م - الإمارة ٤٢/ ٤١).

(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) والجمهور على أنها كبيرة فقط. أ.هـ

[هجران أهل البدع]

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة.

... الشرح...

الهجران مصدر هجر وهو لغة: الترك.

والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب(١)؛ لقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾(٢). ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك(٣).

(١) أجمع السلف على وجوب هجران أهل الأهواء، ومن ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ... الإبانة لابن بطه (٢/ ٤٢٧).

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ...

وقال: قالا : أدركنا – على هذا العلماء في جميع الأمصار ...أ.هـ اللالكائي ١/ ١٩٧-٢٠٢ .

وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى: رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع ... الفتاوى (٢٤/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) (خ ٤٤١٨ ، ٤٦٧٧) (م ٢٧٦٩) من حديث كعب رضي الله عنه.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة[(١)] لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بـأس بـذلك، وربما يكون ذلك مطلوبـاً؛ لقولـه تعـالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(٢)]. وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكـون بالمراسـلة، والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم[(٣)] خوفاً من الفتنة بها، أو ترويجهـا بـين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله صلى الله عليـه وسـلم في الـدجال: "مـن سمع به فلينأ عنه، فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسـب أنـه مـؤمن فيتبعـه مما يبعـث بـه مـن الشبهات". رواه أبو داود[(٤)]. قال الألباني: وإسناده صحيح.

(١) وتحققت وجود المصلحة بالظن الغالب، ويكون المناقش لهم من أهل العلم الذين يؤمن عليهم الفتنة، إن شاء الله.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) أجمع السلف على ترك النظر في كتب أهل والأهواء، كما قال أبو القاسم الأصفهاني رحمه الله تعالى: ثم من السنه .. ترك النظر في كتبهم ، فهذه السنة التي اجتمعت عليها الأئمة وهي مأخوذة عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأمر الله تبارك وتعالى.

(٤) (د ٤٣١٩) وغيره من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما وصححه الشيخان والألباني والوادعي في جامعه (١/ كتاب العلم).

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم، بل ربما كان واجباً؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(١).

الجدال والخصام في الدين

الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللد في الخصومة، والخصام: المجادلة فهما بمعنى واحد.

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوباً، أو استحباباً بحسب الحال؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت، أو الانتصار للنفس، أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٣). وقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٤).

---

(١) وأجمع السلف على التحذير من أهل الأهواء والبدع وقال شيخ الإسلام ابن تيمه رضي الله تعالى: ومثل أئمة البدع فإن بيان حالهم والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين ...أ.هـ الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥.

[علامات أهل البدع وذكر بعض طوائفهم]

وكل مُتَسَمٍّ بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة و الكرامية و السالمية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

... الشرح...

لأهل البدع علامات منها (١):

١- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة، بما يحدثونه من البدع القولية، والفعلية، والعقيدية.

٢- أنهم يتعصبون لآرائهم، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

ومن طوائفهم:

١- الرافضة: وهم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة، أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن علياً إله، ومنهم دون ذلك. وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي - رضي اله عنه - بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف: فمنهم المشبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل.

وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.

وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة.

(١) ولنا رسالة (علامات أهل البدع والأهواء).

٢- الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ.

مذهبهم في الصفات التعطيل، والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة، جبرية، مرجئة وهم فرق كثيرة.

٣- الخوارج: وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.

مذهبهم التبرؤ من عثمان، وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

٤- القدرية: وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.

وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذين استقر عليه مذهبهم.

٥- المرجئة: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.

٦- المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد.

ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية، وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧- الكرامية: أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه، والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة.

٨- السالمية: أتباع رجل يقال له ابن سالم، يقولون بالتشبيه.

وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال: ونظرائهم مثل الأشعرية أتباع الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام، والقدر وغير ذلك.

****

[الخلاف في الفروع]

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم؛ فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد المهات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

... الشرح...

الفروع جمع فرع وهو لغة: ما بني على غيره.

واصطلاحاً: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة، والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب، لأنه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة". فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على واحد منهم. رواه البخاري(١).

ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة، ولا بغضاء، ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول.

---

(١) (خ ٩٤٦) (م ١٧٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو في مسلم بلفظ الظهر.

وقول المؤلف: "المختلفون فيه محمودون في اختلافهم" ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه، وأن كل واحد محمود على ما قال، لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق، وقوله: "إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة"، أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم" فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد.



الإجماع وحكمه

الإجماع لغة: العزم والاتفاق.

واصطلاحاً: اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو حجة لقوله تعالى:﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُول﴾[١]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة". رواه الترمذي[٢].

التقليد

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.

واصطلاحاً: إتباع قول الغير بلا حجة.

وهو جائز[٣] لمن لا يصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى: (فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[٤].

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) (ت ٢١٦٧) وغيره من حديث ابن عمر وحسنه الألباني رواه الحاكم (١/ ١١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الشيخان وغيرهما.

(٣) الأصل في التقليد لعوام المسلمين الجواز، فإذا سألوا أهل العلم الموثوق بهم فأفتوهم فذلك ما أوجب الله تعالى عليهم، والله أعلم. وانظر إعلام الموقعين (٢/ ١٧٨ ، ١٨٢).

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٣.

والمذاهب المشهورة أربعة:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ.

الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ.

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية، والزيدية، والسفيانية، وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً، ويترك من قوله ما كان خطأً، ولا عصمة إلا في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم(١).

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله كثيراً، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، عز جلاله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

❊❊❊❊

---

(١) وقد اتخذ أهل البدع المذاهب ستارًا لنشر بدعهم، فأضلوا الكثير.

تم في عصر الجمعة الموافق ١٠/١/١٣٩٢هـ.

بقلـــــــم

مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين[١]

(١) وتوفي رحمه الله تعالى ورفع درجته في عليين عام ١٤٢١ هـ، ونحسبه والله تعالى حسيبه ممن عاش مجدداً للدين والعلم حتى توفاه الله سبحانه وتعالى.

تم بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

نسأل الله حسن القصدُ والختام.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

****